# الموجز

# فى الأدب العربى وتاريخه

العصر الاسلامي والدولة الأموية

لطلبة السنة الثالثة الثانوية بالمعاهد الدينية

وفق

منهج الدراسة الجديد للجامعة الأزهرية

بقلم

الأستاذين : { عياض سباق
صادق ابراهيم عرجون } المدرسين بمعهد القاهرة

١٣٥٥ – ١٩٣٧

مطبعة الفتوح لصاحبها على نظاطه بالخليج قنطرة عمر شاه بالسيدة زينب بمصر

# بسم الله الرحمن الرحيم

نحمدك ربنا ونشكرك شكر الدائبين في رضاك ، ونصلى ونسلم على أفصح الناطقين بالضاد : سيدنا محمد بن عبدالله القرشى الهاشمى الذى أدبه ربه فأحسن تأديبه

أما بعد :

فهذا موجز فى الأدب العربى وتاريخه مما حاضرنا به أبناءنا طلاب المعاهد الدينية فى الأقسام الثانوية راعينا فيه الايجاز بما يتفق وعقول الناشئة فى الفن ، ولم نأل جهدا فى أن يكون وافيا بالغرض الذى استنته الرياسة العامة للجامعة الأزهرية فى منهاجها الجديد

واضعين اليد على ماامتاز من النصوص الأدبية بسمو اللفظ ، وشرف المعنى

متخيرين أسلوبا فطريا يبصر الناشئة بلغتهم : تاريخها وآدابها علهم يستروحون فيها نسيم الفصحى وخاصة عصر الاسلام الزاخر بأمواج اللغة . وعهد الأمويين المائج بفنون البيان

وكل مبتغانا أن يكون خالصا لوجه الله ، ومحققا لانهاض الفكر العربى فى جامعتنا الاسلامية العربية علنا نستعيد بعض مافقدنامن تراثنا القديم مما فيه ذكرى لمن كان له قلب أو ألقي السمع وهو شهيد ؟

عياضى سباق

صادق ابراهيم عرجون

غرة ذوالقعدة سنة ١٣٥٥

# منهج أدب اللغـة

## للسـنة الثالثة الثانوية

تشمل الدراسة فى هذه السـنة : المدة من بزوغ فجر الاسلام إلى انقضاء الدولة الأموية

ظهور الاسلام وتأثيره فى حياة الأمة العربية وآدابها

القرآن الـكريم وأثره فى اللغة « غرضا ومعنى وعبارة »

الحديث النبوى الشريف وأثره فى اللغة كذلك

الخطابة ودواعيها وأسلوبها . ونماذج منها

دراسة حياة الخطباء : —

على بن أبى طالب ، أبى حمزة الخارجى ، زياد ، الحجاج

الـكتابة الانشائية ومميزاتها . نماذج منها

دراسة حياة عبدالحميد الـكاتب

الشعر :

هدوءه عند ظهور الاسلام ثم انتعاشه فى عصر بنى أمية وأسباب كل ذلك

أغراض الشعر ، معانيه ، أخيلته ، الفاظه أسلوبه ، نماذج منه

التعريف بهؤلاء الشعراء : ـ

حسان بن ثابت ، كعب بن زهير ، الحطيئة ، عمر بن أبى ربيعة ، جرير ، الفرزدق ، الأخطل الـكميت ، عمران بن حطان .

# اللغة العربية قبيل الاسلام

اللغة العربية كغيرها من اللغات الحية يعتريها النمو حينا ، ويعتورها الركود حينا

وأنت إذا تأملت ماحو اليك اليوم من الألفاظ ومعانى الأشياء تجدها مغايرة فى قليل أو كثير لجملة ما كان متداولا بين القوم منذ سنين ومن الواضح أن الأفكار تتجدد بتجدد مايعرض للأمة من شؤون سياسية ،أو دينية أواجتماعية، لهذا كان لزاما على اللغة العربية أن تتنوع فى صورها الكلامية من ألفاظ إلى معان الى أساليب: شعراً ونثرا، خضوعا للقوى المستجدة ، واستسلاما لمحدثات الأمور .

ويستتبع ذلك أن ترتقى صور الكلام أحيانا وتسمو حتي تتبوأ غاية الغايات فى مراتب البلاغة لما تشتمل عليه تلك الصور أحيانا من إيجاز لفظ إلى سلامة معني فى إصابة غرض .

وبنظرة عجلى الى اللغة العربية وآدابها قبيل الاسلام يستبين لنا أنها كادت تبلغ أبعد شأو فى الارتقاء وبخاصة فى أشعارها متأثرة بعوامل وقوى مختلفة يوضحها مايأتى :

أنت خبير بأن للعرب قبل الاسلام لهجات كثيرة مختلفة تعاورت لغتهم وخاصة مشهورى قبائلهم

فمنها: عنعنة[١] تميم، وكشكشة[٢] ربيعة وأسد وطمطمانية[٣] حمير، وعجعجة[٤] قضاعة: تتحد فى معانيها أحيانا وتختلف احيانا (فالأصابع) فى لغة قريش هى (الشناتر) فى لغة حمير. و (الذئب) عند الأولى هو (الكتع) عند الثانية. و (السدفة) الظلمة عند تميم و (الضوء) عند قيس. و (الطرق) فى لغة قريش هى (الفجاج) عند كندة. بل كثيرا ما كانوا يختلفون فى مخارج الحروف فقبيلة تميل وأخرى لا تميل، وواحدة تقول (شدّ) مثلا بالادغام وأخرى تقول (اشدد)

ولما كان أول بيت وضع للناس الذى ببكة - ومكة بلد قريش ذات الزعامة الدينية - تؤمه القبائل العربية من كل فج تأدية لمشاعر الحج ومناسكه فتتحدث قريش إليهم وهم يتحدثون إليها فى مهام الأمور وسائر المرافق الاجتماعية وخاصة الشؤون التجارية ذات الأثر العظيم عند المكيين، ولما كانت زعامة قريش لها أثرها فى تأمين الطرق من السلب والنهب لشدة بأس قريش وحرمتها عند العرب

---

(١) العنعنه: إبدال الهمزة المبدوء بها عينا فيقال (عن) فى (أن)

(٢) الكشكشة: أن تبدل الشين من كاف الخطاب للمؤنث فيقال: عليش فى عليك

(٣) الطمطمانية: وضع (أم) بدل (أل التعريفية) فيقولون طاب امهواء فى طاب الهواء. وليس من امبرا مصيام فى امسفر بدل ليس من البر الصيام فى السفر

(٤) العجعجه: قلب الياء المشددة جيما فيقولون فى (على) (علج) وفى (كرمى) (كرسج)

لم يبق بد من تقارب تلك اللهجات ، ولم يبق بد لقريش من أن تتجافى الكلام الحوشى ، واللفظ السوقى كما تجافت الغليظ الفظ من اللهجات ناهيك بما أفادته فى رحلاتها وما سيرته القبائل مما أفادته من لغة قريش ؛ وبهذا يمكنك أن تدرك السر فى انتشار القرشية فى زمن يسير. (لئيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذى أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف)

على انك يمكنك أن تجمل أسباب توحد هذه اللهجات وانضوائها تحت راية اللغة القرشية إذا عولت على أمرين هامين وثالث أهم منهما وكلها مجتمعة ومنفردة لها أثرها فى ترقيق ذوق اللغة القرشية وسهولتها ويسرها إلى ثروة ألفاظها ووفرة مفرداتها وشدة مرونتها حتى اتسعت للغة القرآن الكريم .

أولا سبب تجارى .

لقد كان للتجارة شأنها فى مكة حتى اقتنى بعض أهلها الضياع والعبيد وقد بلغت القافلة خمسمائة وألف بعير . وكثرة الرحلات من مكة وإلى مكة واشتغال القرشيين بالتجارة ومخالطتهم للأمم الأجنبية والقبائل العربية الأخرى كل ذلك مكنهم من تخير لهجات خفيفة الجرس لطيفة النغم سهلة المخارج بل سمحوا لانفسهم أن يضيفوا إلى ألفاظهم ألفاظا جديدة .

فأخذوا عن الفرس كلمة (الاستبرق والسندس والكافور) مثلا كما أخذوا بعض الالفاظ من غير الفرس أيضا .

ثانيا سبب ديني :

ومرجعه مشاعر الحج - فى مكة بلد قريش - والنسك وانسياب العرب إلى الكعبة بأفئدتهم وقلوبهم وتبادل الآراء بعد فيما بينهم أو بينهم وبين قريش كل ذلك أتاح للقوم تبادل اللغات العربية وأتاح لهم توحد اللهجات القبلية حتى انتصرت لغة قريش وزاحمت غيرها فى مواطنها

ثالثا سبب اجتماعى أدبى

وهو يتجلى فى الأسواق العامة التى عنى بها العرب أيما عناية وناهيك بسوق ( عكاظ[1] ، ومجنة[2] ، وذى المجاز[3] ) حتى بقيت السوق الأولى إلى مابعد الاسلام .

ولا تسل عما كانت تتسع له من مناظرات ، ومنافرات ، ومعاظمات بالشعر والنثر فى الحسب والنسب . والكرم والشجاعة . والتفاصح ووصف الجمال ، ناهيك بما حدث واستجد من معانى الأشياء التى كانت محك أفكار المؤتمرين فى تشاورهم وتحاورهم ، وقد كان لقريش القدح المعلى فى كل ذلك ، فهم طالما اعتزوا بحسبهم ونسبهم وخالد أعمالهم كسقاية الحج حتى سوّدوا على غيرهم من القبائل فلم يكن بدعا أن تكون السياسة والرياسة فيهم ، وأن تكون الزعامة الدينية لهم ، وأن يكون أكثر

---

(١) عكاظ . مكان بين نخلة والطائف أشهر أسواق العرب كانت تقام هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما

(٢) مجنه . بفتح الميم والجيم وقد تكسر الميم . موضع قرب مكه

(٣) ذو المجاز . موضع قرب عرفة على بعد فرسخ منها

الحكام فى الأدب منهم - ودأب التابع أن يقلد المتبوع ، وأن يقتفى أثره فى أظهر مظاهر السيادة - وهذا هو السر فى انتشار لغتها بين أقطار الجزيرة

ومهما يكن فان اللغة العربية قبيل الاسلام قد نهضت فى سائر شئونها . فتوحدت لهجاتها ، ورق ذوقها ، وجاد أسلوبها ، وأحكمت مطالعها ومقاطعها ، وخف لفظها ؛ والطفت معانيها ؛ وجدت لها مقاصد وأغراض حتي أصبحت مملكة مترامية الأطراف فى الفصاحة واللسن ولطف الاشارة ؛ وأسر العبارة ولكن بلا ملك يصرف أمورها ، ويسوس شئونها ، ويخلد ملكها حتى جاء القرآن الكريم فكان الملك العادل المسلط ببلاغته على العقول ، والمسيطر ببراعته على النفوس ، والمصرف لها فى مختلف الشئون وبذا أصبحت اللغة كما يحب الناطقون بالضاد .

وبكأن الله أوحى إلي الفطرة العربيـة أن تتهيأ كذلك لتستقبل لغتها انقلابا تاريخيا عظيما فانفسح صدرها لأن تتلقى وحيا سماويا أصارها إلى حياة جديدة فى كل شئ .

## أشراق شمس الاسلام
### على الأمة العربية

حادث عظيم ذلك الذى فوجىء به العرب ولم يعهدوا له من قبل مثيلا . وأمر خطير ذلك الذى شغل الأذهان وأدهش العقول وترك النفوس حيرى ، وخطب جلل داهم ذلك الذى شب بين ربوع مكة — عاصمة الجزيرة العربية يومئذ — يسفه أحلام العرب . وينعى عليهم العصبية والعكوف

على عبادة اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى

أجل ! إنها لصيحة بالحق تلك التى انبعثت من قلب محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عشيرته الأقربين اذ يقول: « والله الذى لا إله الا هو إنى لرسول الله اليكم حقا والى الناس كافة. والله لتموتن كما تنامون. ولتبعثن كما تستيقظون . ولتجزون بالاحسان احسانا وبالشر شرا . وإنها للجنة أبدا أو النار أبدا . وإنكم لاول من أنذر بين يدى عذاب شديد »

ولقد ظلت دعوة الاسلام مستترة ردحا من الزمن فلا يدخل فى ساحته الا الرجل والرجلان والنفر القليل حتى نزل قول الله تعالى (فاصدع بما تؤمروا أعرض عن المشركين) فأعلن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن دعوته وجد فى تبليغ رسالة ربه. وتتبع مجتمعات العرب ومحافلهم ومنتدياتهم ومضارب عشائرهم وقبائلهم يدعوهم الى عبادة الله وحده لا يشركون به شيئا . ويذرون ماهم عليه من وثنية ضالة وعقائد سخيفة . وعادات جاهلية ، واخلاق غير رشيدة . وفرقة مبيدة . فلم ترقهم تلك الدعوة التى ستذهب عصبيتهم. وتغير عليهم تاريخهم . وتنصف فقراءهم من أغنيائهم وتحول مجرى حياتهم. فجدوا فى مناهضتها واضطهاد أتباعها . وإيذاء القائمين بأمرها . واشتد النضال بين الخير والشر والحق والباطل . وانتقل الأمر من حرب الكلام الى الجلاد بالحسام . وهكذا كلما حاول رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكشف لهم عن شمس الهداية أعرضوا ونأوا بجانبهم وحاولوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

إنها لجاهلية متغلغلة وعصبية مستحكمة . وشهوات مهيمنة . هى

ألسنتهم الناطقة. و أعينهم المبصرة. وآذانهم السامعة . وايديهم الباطشة .
وعقولهم المفكرة . لا ثقافة فى علم ، ولا تبصر فى دين ، وانما هي تقاليد
موروثة لا يريدون عنها حولا ، ولـكن الله تعالى أيد دينه وفتح له مغاليق
القلوب . فأقبلوا على اعتناقه أفواجا أفواجا ، وخلعوا نسج البداوة .
ولبسوا حلل الحضارة . وطرحوا أوابد عاداتهم واتخذوا أدبا ساميًا ،
وتشريعًا هاديا فى حديث من التفصيل نلقيه اليك .

## أثر الاسلام فى الحياة العربية

أشرفا فيما تقدم الى طرف من حياة الامة العربية قبيل الاسلام ،
يصور لك ما كانت عليه من فوضى اجتماعية ، واضطراب فى العقائد ،
ونزوع الى الشر وتطاحن وتشاحن ، الى تنافر وتناحر ، وفتن وإحن ،
وتنابذ وافتراق ، وغارات مخربة ، وحروب مدمرة ، وروابط مفككة
وأسر غير منظمة ، واخلاق لا تعتمد على أساس من دين سماوى أوقانون
وضعى ، ونظام قبلى يسيطر عليه رؤساء مستبدون ، وزعماء متسطلون
يحتكمون فى أمورهم إلى عرف هم خلقوه والى عادات ورثوها عن الآباء
والاجداد ( وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه
آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون )

والآن نأخذ فى بسط هـذا الاجمال ، ثم نقـفى عليه بأوضح آثار
الاسلام فى تلك الحياة لنعطيك صورة واضحة بمقدار ما يتسع له المقام ،
و أول ما يلفت نظر الباحث فى حياة العرب قبيل الاسلام تلك الظاهرة
الوثنية وعقائدهم الدينية . فما أكثرها عددا ، وهى وان اختلفت مظاهرها

لكنها تجتمع كلها على ضلالة .

فمنهم عبدة الاصنام ، وهم الكثرة من القبائل العربية ، وكان لكل قبيلة صنم اختصت به وعرفت بعبادته،فلبنى كلب(وُد)ولهذيل(سواع) ولمذحج ومن جاورها من اليمنيين (يغوث) ولبنى كلاع (نسر) ولهمدان (يعوق) ولثقيف (اللات) ولقريش وكنانة (العزى) وللأوس والخزرج (مناة)وكان(هبل)أعظم أصنامهم تعظمه جمهرتهم،فوضعوه على ظهر الكعبة

ومنهم من لم يعتقد بأله يحيي ويميت، وانماهى بطون تدفع وأرض تبلع، ودهر يهلك(وقالوا ماهى إلاحياتنا الدنيا نموت ونحيا ومايهلكنا إلاالدهر) ومنهم عباد الكواكب والأنواء،ومنهم من تهود، ومنهم من تنصر، ومنهم من عبد الملائكة والجن.عقائد لاعدلها ولاحصر، ان دلت فى كثرتها على شيء،فانما تدل على اضطراب دينى شنيع،وتدهور روحى بالغ أقصى غايات التفكك والانحلال .

فأما عاداتهم فيما وراءالدين والعقيدة فشأنهم فيها أعجب من العجب واذا كان فيها خير أقرهم عليه الاسلام فيمابعد ونماه فيهم،فان شرها كان أغلب من خيرها ، بل كان شرها غامراً لايترك لمظهر الخير أثراً يبدو بجانبه لولا هداية الاسلام التى سنحدثك عنها بعد .

نعم انهم كانوا كراما يجودون بأموالهم وأرواحهم . وكانوا أوفياء وكانوا يحرصون على مظاهر المروءة كلها . ولكنهم الى جانب ذلك كانوا يسبحون فى خضم من الضلالة والاساطير والخرافات التى لايقرها علم صحيح ولا عقل سليم . وإلا فحدثنا : ماشأن هذا الحيوان المسكين الذى يربط

الى قبر ميتهم ويترك حتى يموت جوعا . اعتقادا منهم أن الروح اذا خلصت من الجسد تشكلت على هيئة طير يسمونه الهامة والصدى . لايزال يصيح اذا كان الميت قتيلا يقول (اسقونى) حتى يأخذ أهل القتيل بثأره ؟! قل لنا بربك أى عقل يستطيع أن يعلل هذه الشناعة تعليلا يدخلها فى حظيرة التفكير المستقيم ؟ أليس هو حب الدماء يوحى الى خيال العربى أن يخترع هذا النوع من القصص الخرافى ليرضى عاطفته الظمآى الى الانتقام.

ثم حدثنا ماهذه القداح التى سموها الأزلام ، وراحوا يستقسمون بها تيمنا وتطيرا فى روحاتهم وغدواتهم ، وسفرهم وإقامتهم ؟ وما هذه السوانح والبوارح من الطير يتفاءلون بها ويتشاورون تبعا لهواهم ؟ هل تجد سببا معقولا لهذا التفكير الغريب ؟ وماصلة الأزلام باليمن والنحس ؟ وماعلاقة الطير فى جوها سانحة أو بارحة بالسعادة والشقاوة ، أو النجاح والظفر ، او الأخفاق والفشل ؟!.

لندع هذا النحو من العادات الساذجة فقد تكون أثرا من آثار التفكير الفطير الذى تشترك فيه الجماعات البشرية . فان لكل أمة ـ ولا سيما فى أطوار بداوتها ـ أساطير وخرافات على ذلك الطراز . ولنأخذ بك فى الحديث عن نوع آخر يمس الحياة فى صميمها ، والاخلاق فى لبابها . والعواطف الجبلية فى اساسها ، فأرهف سمعك الى هذا القلب القاسى المظلم من نور الحنان يحدثك عن تلك المخلوقة المسكينة التى لا ذنب لها الا أنها الشطر الحساس من المجتمع الانسانى . يأخذها أبوها — إى والله انه لأبوها — حية متكلمة مداعبة . فيحفر لها فى الأرض ويدفنها كما هى .

روحها فى جسدها تخاطبه ويخاطبها . ولا نخالك الا قرأت ماحدثتنا به كتب الادب عن إحدى بنيات عمر بن الخطاب فى جاهليته . وقد أخذها ليدسها فى التراب . فبينما يحفر لها اذ جاء التراب على ذقنه فراحت تنفضه عنه فى براءة الطفولة ووداعة البنوة ، وهى لاتعلم من أمر الغيب فى شأنها شيئا . فلم يكن لها من ذلك شفيع . أية عاطفة انطوت عليها جوانح أولئك القوم؟ وأى قلب خفق بالحياة وجرى فيه دم الانسانية ؟! عاطفة جامدة وقلوب قاسية . لاتخضع الا لداعى البداوة والجاهلية العمياء التى تحتقر المرأة ولا ترى فيها الا العار والشنار .

ومما يقضى منه العجب فى مفارقاتهم أنهم فى الوقت الذى يئدون فيه البنات خيفة العار يطلقون لأنفسهم الحرية الجامحة فيتزوج الرجل منهم من النساء بقدر ماتسمح به حالته ومكانته بلا تحديد ، وله أن يطلقهن متى شاء له هواه ، فلا نظام لزواج ولا قانون لطلاق ، واذا شئت ماهو أدخل فى الشناعة فانظر الى ذلك الابن وقد ورث زوجة أبيه فتزوجها . اذ كانوا يعتبرون الأرملة من جملة ميراث زوجها . ولأكبر أبنائه من غيرها أن يرتبط بها برباط الزوجية خالفا عليها أباه .

وما كنا لنصدق عن النخوة العربية تلك الوصمة الفاجرة فى تاريخ الجاهلية العربية لولا أن المنبىء عنها أصدق الصادقين . أولئك قوم من رؤساء بعض العشائر العربية اتخذوا ضعف فتياتهم وإمائهم سلاحا دنيئا فكانوا يكرهونهن على الزنا ابتغاء عرض الحياة الدنيا .

وليت شعرنا ماذنب هذه البهائم يبتّكون آذانها ويجبون

ظهورها، ويفقأون عيونها، ويغيرون خلق الله فيها، ثم يقولون هذه بحيرة وتلك وصيلة، وهذا حام، الى غير ذلك مما اختلقوه افتراء على الله أسماء سموها ما أنزل الله بها من سلطان، ولا نحدثك عن تباهيهم بمعاقرة الخمور؛ ولعب الميسر. فذلك حديث معروف مشهور، ولا نحب أن نستقصى لك ما كان معروفا عند عرب الجاهلية من عادات ذميمة، وإنما أردنا أن نضع أمام عينيك صورة من حياتهم حتى تستطيع أن تتبين فى جلاء الأثر العظيم الذى أحدثه الاسلام فى حياة العرب الاجتماعية والدينية والخلقية والتاريخية وما أعدهم اليه من تبليغ رسالته الخالدة الى الناس أجمعين

*
* *

فى دياجير تلك الحلوكة التى صورناها لك، وفى غضون الهمجية الضاربة بأطنابها فى مجتمعات العرب بعث الله محمدا نبيه ورسوله على فترة من الرسل الى العرب خاصة وإلى الناس كافة بشريعة الاسلام، والاسلام فى حقيقته دين ثورة اصلاحية تقتلع الفساد من جذوره وتستأصل الشر من أصوله، وتبني مكانها خيرا محضا على أساس من الحق والعدل والرحمة

وكان طبعيا أن يوجه أول أشعته الى أفق الجزيرة العربية ففى بطحائها اشرقت شمسه ومن أعز أرومتها اختار الله تعالى صاحب رسالته فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم - وروح الله تؤيده، والوحى يسدده - بأعباء الرسالة العظمى. ودعا العرب الى توحيد الاله الخالق (وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم) فخاصموه وجادلوه، ولكنه جدال المقلد الذى لا يملك من أمر عقله شيئاً، فنبههم الى تحرير عقولهم من ربقة التقليد البليد وأرشدهم الى طريق التفكير الصحيح، والنظر فى ملكوت الله

( إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ) ولم يزل صلوات الله عليه يتدرج بهم فوجههم إلى النظر فيما حولهم ( أفلا ينظرون إلى الابل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت والى الجبال كيف نصبت والى الأرض كيف سطحت ) ثم الى النظر فى أنفسهم ليروا فيها بديع حكمته ، ويستدلوا بها على عظمته وبالغ قدرته ؛ وفى أنفسكم أفلا تبصرون ) الى كثير مما لانطيل بسرده .

ولما مهد لهم طريق النظر ، ولم يترك لهم عذرا قائما نبههم لسوء تفكيرهم وانحطاط وثنيتهم ، فمرة يقول ( إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين ألهم أرجل يمشون بها أم لهم أيد يبطشون بها أم لهم أعين يبصرون بها أم لهم آذان يسمعون بها ) وطورا يقول ( ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولاينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الارض سبحانه وتعالى عما يشركون ) وهكذا مما سبيله تصحيح العقيدة وتطهيرها من زيغ الشرك فى أى صوره ظهر . ( وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة )

رسخ بنيان العقيدة الموحدة ، ورسا أصلها فى القلوب ، فكان على الاسلام بعدئذ تنظيم الحياة الاجتماعية بالقضاء على العادات القبيحة ، وتشريع آداب سامية ، فقام النبى صلى الله عليه وسلم مقام المؤدب الحكيم الذى لايضعف ولايعنف ، رآهم يتطيرون ويتشاءمون ويعتقدون الهامة

فقال . ( لاعدوى ولا طيرة ولا هـامة ) ورآهم يستقسمون بالأزلام ؛ ويذبحون لغير الله ، ويستحلون الميتة ، ويأكلون الدم وغيره ممـا يضر بأبدانهم وأرواحهم فأنزل الله تعالى عليه قوله ( حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السـبع إلا ماذ كيتم وماذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق ) ورآهم يقتلون أولادهم خشية الاملاق ، ويدسون بناتهم فى التراب خيفة العار ، فنهاهم وزجرهم وهددهم بقوله تعالى ( ولا تقتلوا أولادكم خشـية إملاق نحن نرزقهم وإياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ) وقوله ( وإذا المو ءودة سئلت بأى ذنب قتلت ) وقد أعظم الأسـلام شأن المرأة التى احتقروها ، فجعل لها من الحقوق مثل الذى عليها فقال تعالى ( ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة ) وهـذه الدرجة ارفاق بالمرأة ورحمة ، وهى درجة القوامة عليها وحمايتها والسعى فى صوالحها المذكورة فى قوله تعـالى ( الرجال قوامون على النساء ) .

ونظـم الزواج الذى عليه عماد الأسرة ، وحرم ماتقتضى العقول السليمة تحزيه فقال عز شأنه ( ولاتنكحوا مانكح آباؤكم من النساء إلا ماقدسلف إنه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا ) ونهاهم عن اهدار الكرامة والشرف ، فقال عز من قائل ( ولاتـكرهوا فتياتـكم على البغـاء إن أردن تحصنا لتبتغوا عرض الحيـاة الدنيا ) وعطف على بدعتهم فى البهائم فأكذبهم فيما زعموه فقال ( ماجعل الله من بحيرة ولاسائبة ولا وصيلة ولاحام ولـكن الذين كفروا يفترون على الله الـكذب وأكثرهم لايعقلون ) . ورآهم

عاكفين على الخمر والميسر يفخرون بهما فأبلغ فى تقبيحهما تنفيرا وزجرا فقال ( يا أيها الذين آمنو إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العدواة والبغضاء فى الخمر والميسرل ويصدكم عن ذكر وعن الصلاة فهل أنتم منتهون) ورآهم يتظالمون فى معاملاتهم فارهق أغنياؤهم فقراءهم وفشا بينهم الربا المتفاحش ، فأبى عليهم إلا العدل والاحسان فقال تعالى (يا أيها الذين آمنو لاتأكلوا الربا أضعافا مضاعفة ) وقال أيضا قطعا لاطماعهم واجتثاثا لأصل هـذه المعاملة الظالمة ( الذين يأكلون الربا لايقومون إلا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بانهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا )

ورآهم متنابذين متفرقين فجمع قلوبهم ووحد بينهم وأرشدهم الى طريق التحابب فقال تعالى ( وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ) وقال ( واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا) ونظم طريقة الحكم فجعله شورى بينهم ، وأمر الله نبيه ان يستن ذلك معهم فقال ( وشاورهم فى الأمر ) وأثنى عليهم بها فى قوله ( وأمرهم شورى بينهم ) ونصح لهم بالتعاون على البر والتقوى ، وأمرهم بالعدل والصدق ، والصفح الي جميع مكارم الاخلاق

أجل ! ثلاث وعشرون سنة انتقل فيها العرب من طور بداوة ممحلة الى

حضارة مخصبة ، ومن جهالة مظلمة الي علم منير ، ومن فرقة مبيدة الى وحدة عاصمة ، ومن همجية الى نظام اجتماعى دولى لم يعرف التاريخ له نظيرا فى سرعة تكوينه ونموه .

ثلاث وعشرون سنة أنشأ فيها محمد رسول الله ﷺ دولة من اشتات القبائل العربية التى نسيت تاريخها ومجد أسلافها وسابق أيامها ؛ حكمت أكثر المعمور من الكرة الارضية فى وقتها ، واستولت على كسروية الأكاسرة ، واحتازت الى ساحتها قيصرية القياصرة ، وامتد ملكها فيما بعد من الهند والصين الى جنوب فرانسا .

ثلاث وعشرون سنة أتم فيها محمد رسول الله ﷺ تبليغ شريعة أخرجت الناس من الظلمات الى النور ، ووضعت للحياة الفاضلة قانونا نبيلا ، وسلكت سبيلا جددا ومهيعا قاصدا ، ووطدت اسس الحضارة فى الارض .

دين خالد بآدابه وتعاليمه وشرائعه ، ودولة عظمى بنظامها وتاريخها وسلطانها ، هما أثر الاسلام فى حياة الأمة العربية المجيدة . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

# تأثير الاسلام فى الأدب العربى

عرفت مما قدمناه لك شأن اللغة العربية قبيل الإسلام ، واتجاهها الى وحدة لهجاتها فى ظل القرشية ، والأسباب التى دفعت بها الى ذلك الاتجاه ، وعرفت أيضا تأثير الاسلام فى حياة الأمة العربية ( اجتماعيا ،

ودينيا، وخلقيا) وفى هـذا الفصل نحدثك عن تأثير الاسلام فى حياتها من الوجهة الأدبية، وهو كالتمهيد للفصول التي ستقرؤها بعدُ فى الخطابة والخطباء، والشعر والشعراء، والكتابة والكتاب، وهل الأدب شىء غير مأثور الكلام من الشعر والنثر فى أطوارهما المختلفة؟

أول مايطالع الباحثَ فى تاريخ الأدب العربى من ذلك التأثير: تلك النهضة اللغوية التى أتمت ما بدأته قريش بزعامتها وبلدها ومركزها الديني من توحيد اللغة توحيدا كاملا، جعل ما بقى من تلك اللهجات الأولى أشبه بشىء أثرى يعتز به التاريخ ولا يطمئن اليه الأدب، ونحن اذا استحضرنا العوامل السابقة التى كان لها أكبر الأثر فى تمكين القرشية من ألسنة العرب قاطبة وجدناها كلها متوافرة: مشرق شمس الاسلام، ووجدنا شيئا جديدا انضاف اليها كان تأثيره أجل وأعظم منها جميعا، ذلك هو الحركة الانقلابية التى أحدثها الاسلام، فتجاوبت بندائها أنحاء الجزيرة العربية، وماجت من أجلها قبائلها وبطونها تتسمع الى ذلك النبأ العظيم، وسفرت الى مكة سفراؤهم يتساءلون، وتجمعوا فى أفنائهم يتفاوضون، فأخذ ورد، وتجاذب وتشاور، وتحاور وتقاول، وتدافع وتصاول، حول قريش ومكة مبعث ذلك الانقلاب الذى قام به فرع دوحتها وسليل سادتها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب القرشى، فكان من الضرورى أن يسود لسان قريش أحياء العرب ويقضى على البقية الباقية من لهجات عربية أخرى.

وأنت اذا عرفت ما للقائد من شأن خطير فى الأطوار التى تغير من

تاريخ الأمة أدركت مدى تأثير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نشر لسان قومه وعشيرته وبلده مما أعد ذلك اللسان العربى المبين أن يكون هو اللسان «الرسمى» كما يقول التعبير العصرى، إذ نزل به القرآن الكريم، وهو القانون المهيمن على جميع أعمال المسلمين والدستور العام الذى يستمد منه كل تشريع ويرجع اليه فى كل الشؤون على ماستراه فى فصول نفرده بها.

وعلى جناحى «تلك الرسمية» طارت اللغة القرشية مع رسل النبى صلى الله عليه وسلم وفى كتبه الى الملوك والرؤساء والأقيال، ومع الوفود الداعية، والأئمة المعلمين، والجيوش الفاتحة، فطافت الجزيرة العربية ثم انتشرت فى أصقاع الأرض التى دخلها الاسلام، وشاعت فى الممالك التى فتحتها جيوش المسلمين، كبلاد الفرس وما كان تحت يد الرومان كالشام ومصر وما إليهما، وهناك وجدت مجال المرئيات فسيحا، وميدان الافكار رحباً مما لم تكن تجد مثله فى معاهدها الأولى، لأن مارآه العرب فى فتوحهم من المناظر، ومظاهر الحضارة التى كانت لدى تلك الأمم المغلوبة على أمرها حيث القصور والمبانى والرياض والازياء والمآكل، مما يحتاج الى ألفاظ تعبر عنه، وأساليب تؤدى الى النفوس معانيه، لم يكن للعرب فى أخريات جاهليتهم منه شىء، ولا ريب أن فى ذلك كله مادة خصبة وثروة زاخرة للفكر العربى ينتزع له من لغته وأساليبه مايؤديه أداء كاملا تحقيقا للتفاهم وتمكينا من الانتفاع.

واذا كان الخير فى هذا العالم لايخلص من شائبة، فان هذا الخير العظيم لم يسلم للعرب صافيا، بل جرّ وراءه نوعا من العجمة التى كانت طريقا

الى دخول اللحن فى لغة العرب بسبب اختلاط الأعاجم بهم فى بلادهم، ووفودهم الى بلاد العرب موالى وإماء، فقبضوا على ناصية المرافق فى الأسر وأقبلوا على العلم الاسلامى إما بدافع الاخلاص فيمن صفا إيمانهم، وإما بدافع الرغبة فى التقرب الى الغالب المسيطر. فلم تطاوعهم ألسنتهم على الاعراب ونصاعة البيان فلحنوا ونقل عنهم ذلك أبناؤهم وأبناء مواليهم حتى شاع وطرق آذان العلماء والأبيناء كعلى بن أبى طالب وأبى الأسود الدؤلى ومن تتلمذ له. فنهضوا مشمرين عن سواعد الجد الى حماية العربية من شوائب اللحن فوضعت نواة العلوم العربية. قال أبو الاسود الدؤلى: دخلت على أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فوجدت فى يده رقعة فقلت: ماهذه يا أمير المؤمنين؟ فقال: إنى تأملت كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء، يعنى الأعاجم، فأردت أن أضع شيئا يرجعون اليه ويعتمدون عليه، وروى أن زياد بن أبيه بعث الى أبى الاسود وقال له: ياأبا الاسود إن هذه الحمراء قد كثرت، وأفسدت من ألسن العرب فلو وضعت لهم شيئا يقيمون به كلامهم، فأبى عليه، فبعث زياد رجلا وقال له اقعد على طريق أبى الأسود، فاذا مر بك فاقرأ شيئا من القرآن وتعمد اللحن فيه، فقعد ذلك الرجل على طريق أبى الأسواد، فلما مر به رفع صوته وقرأ: إن الله برىء من المشركين ورسوله، بجر رسوله فاستعظم ابو الأسود ذلك وقال: عز وجه الله تعالى أن يبرأ من رسوله! ورجع من فوره الى زياد، فقال: ياهذا قد أجبتك الى ماسألت، ورأيت أن أبدأ باعراب القرآن

وهذا كما ترى شر نهد من غضونه خير كثير . هو نهضة العلوم الاسلامية التى بدأت بعصر الخلفاء الراشدين على يد على وأبى الأسود واستمرت يأخذها الخلف عن السلف بحثا وتنقيحا وزيادة حتى تسلمها العصر العباسى الزاخر العظيم

وباتساع رقعة الملك الاسلامى منذ خلافة الفاروق عمر بن الخطاب رضى الله عنه وضعت أنظمة الديوان لضبط الجيوش وتقييد أرزاق الجند ، وتوزيع الغنائم والصدقات ، وجباية الزكاة وصرفها فى مصارفها ، ونظام الوقف لتوصيل الحقوق إلى أربابها ، واتسع العمران ، وترامت أطراف المملكة وأصبح لكل ناحية وال يلى أمورها من قبل الخليفة ، ولهذا الوالى أعوان من الكتاب والشرطة والحجاب وغيرهم مما استدعى وضع اصطلاحات جديدة ، وألفاظا أعطيت معانى جديدة إما بزيادات على المعانى السابقة كالصلاة والصوم ، أو بالنقل من معنى قديم الى معنى حادث بحدوث الاسلام ، واستدعى أيضا أخذ الفاظ من لغات الأمم الاخرى بعد صقلها على منهاج اللغة العربية كالاستبرق والسندس والمشكاة واللجام والدستور ، وهو مايسمى التعريب .

وقد استتبع ذلك استنباط الاحكام الشرعية التى تنطبق على الحوادث الجديدة إذا لم يكن فى القرآن ولا فى السنة نص صريح عليها بخصوصها ، فنشأ الفقه الاسلامى ، فكان منحى جديداً للغة فيه مجال

ولسنا فى حاجة الى أن نلفت نظرك لما يقتضيه الملك ونظامه وما يتبعه من حضارة زاهية ورقى فى الافكار وابتداع فى الخيال يتطلب

تأنقا فى الاساليب واختيارا للالفاظ ولطفا فى المعانى ودقة فى التفكير، وسلامة فى التعبير مما ستراه فيما سيعرض عليك من النماذج الأدبية فى صور متنوعة .

هذا أهم مايلمحه الباحث من تأثير الاسلام فى الحياة الادبية عند العرب باعتباره انقلابا عاما فى جميع مرافق الحياة ويمكن أن نلخص لك ذلك فيما يأتي :

(١) شيوع القرشية بعد تتميم توحيد اللهجات العربية فى ظلها وجعلها اللغة « الرسمية » للاسلام

(٢) ابتداء تدوين العلوم العربية الذى كان فى الواقع أثرا من آثار ظهور اللحن الناشىء عن اختلاط العرب بالأعاجم

(٣) ابتداء تدوين العلوم الشرعية الذى كان أثرا من آثار النهضة العلمية وظهور الفرق الاسلامية

(٤) وضع اصطلاحات جديدة لتنظيم أمور الملك ولاسيما فيما يتعلق ببيت المال .

(٥) الرقى الفكرى الذى استتبع التأنق فى الالفاظ والاساليب .

(٦) التعريب وهو إجراء بعض الكلمات الاعجمية مجرى الكلمات العربية فى النطق بها والتصرف فيها غالبا

وهناك أمور كانت أثرا من آثار الاسلام ولكن من طريق القرآن الكريم ، وأخرى من طريق الحديث الشريف والبلاغة النبوية وسنرسم لكل منهما صورة تعطيك أهم مايتطلبه الأديب منهما .